المقاربة الطبونيمية التاريخية
وسيلة لفهم التلاقح الثقافي بين المجتمعات
-أنموذج مدينة فاس خلال العصر الوسيط-

طارق يشي*

يتسم المجال المغربي بمجموعة من الخصوصيات الثقافية، التي هي في الأصل نتاج مشترك لمجموعة من الحضارات والثقافات التي بصمت الشخصية المغربية، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، فعلى مدى قرون طويلة، كان المغرب، وما زال، منفتحا على المجالات الثقافية المجاورة، في مختلف المراحل الزمنية، وذلك رغم تعدد وتنوع الوضعيات السياسية، التي كانت تفرض في أحايين كثيرة انغلاقا سياسيا، لم يواكبه الانغلاق الثقافي.

ولدراسة علاقات التأثير والتأثر، وميادين الانفتاح الثقافي على المجتمعات المجاورة، يعتمد المؤرخ على مجموعة من المقاربات التي من شأن الإلمام بشموليتها، أن يقدم صورة واضحة عن طبيعة وخصوصيات هذا التلاقح الثقافي. وتسعى هذه المشاركة المتواضعة، إلى وضع لبنة من لبنات البحث في هذه القضية التاريخية، بالاعتماد على المقاربة الطبونيمية التاريخية، بهدف إبراز أهميتها، وتوضيح دورها في تقديم معطيات جديدة للبحث التاريخي، وسننطلق من إشكالية رئيسية ترتبط بالإمكانيات التي تتيحها هذه المقاربة في استخراج مظاهر العلاقات الثقافية بين المجتمع المغربي ومجتمعات مجاورة، انطلاقا من أنموذج أماكنية مدينة فاس.

---

*أستاذ باحث

ولدراسة علاقات التأثير والتأثر، وميادين الانفتاح الثقافي على المجتمعات المجاورة، يعتمد المؤرخ على مجموعة من المقاربات التي من شأن الإلمام بشموليتها، أن يقدم صورة واضحة عن طبيعة وخصوصيات هذا التلاقح الثقافي، وتسعى هذه المشاركة المتواضعة، إلى وضع لبنة من لبنات البحث في هذه القضية التاريخية، بالاعتماد على **المقاربة الطبونيمية التاريخية**، بهدف إبراز أهميتها، وتوضيح دورها في تقديم معطيات جديدة للبحث التاريخي بصفة عامة، ولقضية هذه الأيام الوطنية التي اختير لها عنوان: **مجالات الجوار المغربية: استحضار لماض تواصلي عريق**، لننطلق من إشكالية رئيسية ترتبط بالإمكانيات التي تتيحها هذه المقاربة في استخراج مظاهر العلاقات الثقافية بين المجتمع المغربي ومجتمعات مجاورة، انطلاقا من أنموذج أماكنية مدينة فاس.

وللإجابة على هذه الإشكالية سنعتمد التصميم التالي:

أولا: المحور النظري: المقاربة الطبونيمية التاريخية: مقدمة في المفهوم والمنهج.

1- مفهوم الطبونيميا.
2- الطبونيميا والتاريخ: أية علاقة؟
3- الطبونيميا التاريخية ودورها في فهم العلاقات الثقافية بين المجتمعات.

ثانيا: المحور التطبيقي: ملامح من التواصل الثقافي بين مدينة فاس ومناطق قريبة أو بعيدة انطلاقا من المقاربة الطبونيمية التاريخية.

1- الأعلام المكانية المشتقة من أسماء جماعات بشرية، دليل على تواصل ثقافي بين المجتمع المغربي ومجتمعات مجاورة.
2- دراسة التأثير الثقافي انطلاقا من تكرار أعلام مكانية بمناطق مجاورة.

أولا: المحور النظري: المقاربة الطبونيمية التاريخية: مقدمة في المفهوم والمنهج.

تعد الأعلام المكانية عنصرا أساسيا من عناصر الثقافة المجتمعية، فهي تضم بين ثناياها أبعادا عديدة، خاصة أنها أطلقت من قبل مجتمع ما، في زمن محدد، على مكان معين، فالحديث عن هذه الأعلام هو حديث عن تركيبة كلية لكل من الزمان والمكان والحدث، الذي يتبلور لينشئ لنا اسما، إذا ما وضعناه مع أنساقه، يمكن أن يسهم في فك عدة ألغاز معرفية.

وإذا كان الإنسان يعمد إلى اختيار أنسب الأسماء للمولود الجديد، اختيارا ينبع من ثقافة مجتمعه، التي تشترك فيها عناصر عديدة، من لغة ودين وتاريخ وانتماء قبلي أو مجالي، فإن الأمر نفسه ينطبق على الأعلام المكانية، فهي تعبر عن عدة عناصر ارتبطت في ذهن المجتمع خلال فترة معينة، فتجد اسم العلم المكاني يختزن خلاصات ثقافية لمجتمع ما، وبذلك من المستحيل أن نجد هيمنة للأسماء التي لها حمولة دينية مسيحية في منطقة استقر -وما زال- بها المسلمون لمدة طويلة، ولا يمكن أن نجد غلبة الأسماء العربية بمكان تهيمن فيه اللغة والثقافة الأمازيغية[1]، مما يؤكد أن العلم المكاني يختزل ويلخص ثقافة وطريقة وتوجه تفكير المجتمع، الذي لا يمكن أن يترسخ إلا بهيمنة هذه الثقافة، فدراسة الأعلام المكانية، والبحث في دلالاتها يعتبر وسيلة أساس من وسائل البحث في ثقافة مجتمع معين، ومصدرا آخر من مصادر التأريخ، والذي يمكن أن يسهم في نفض الغبار عن قضايا تاريخية جديدة، أو تصحيح مضامين تاريخية متداولة، أو إبراز إشكاليات مستجدة. وللوصول إلى هذه النتائج، وجب دراسة العلم المكاني دراسة مستفيضة، تسهم في الوصول إلى الرسم الأصلي للإسم، ولغته الأولى، ودلالاته اللغوية، والعناصر التاريخية التي أسهمت في وضعه، والتحول الذي اعتراه، وذلك للوصول إلى مضامين يمكن أن تسهم في بلورة أفكار تاريخية ونتائج فكرية جديدة في مرحلة التحليل،

1- دليلنا في ذلك المناطق المغربية التي احتفظت بالوجود الأمازيغي، كسوس مثلا، وقد أكد أحد الباحثين هذا الأمر. أنظر: أحمد الهاشمي، الأماكنية المغربية نموذج المشهد الطبيعي والبشري في أماكنية سوس، جزآن، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في اللسانيات، جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، الموسم الجامعي 2001-2002، (مرقونة).

والقيام بهذه العملية يتطلب الصبر وطول النفس، خاصة مع وجود أعلام مكانية تغيرت ملامحها نتيجة عمرها الطويل، وما واكب هذا التاريخ من تعدد للثقافات التي مرت بها، وكل ثقافة لها لغتها ولهجتها، فتسعى بقصد أو بدونه إلى تحريفها وتغيير طريقة نطقها أو كتابتها أو هما معا، أو إلى تغييرها بالكامل لاسم آخر له دلالة أو رمزية "أهم" في الثقافة المستجدة بالمكان، ورغم ما تعترض هذه الأعلام المكانية من مشاكل ومن تحولات قد تؤدي إلى تحريفها أو تشويهها، إلا أنها تمثل أقدم جانب من الجوانب الحضارية الحية للتراث الثقافي الإنساني، خاصة مع تداولها الشفوي على مدى مئات السنين، والتي استطاع عدد كبير منها الصمود أمام هذه التحولات.

1- مفهوم الطبونيميا:

تعرف هيئة الأمم المتحدة "الإسم الجغرافي" بكونه «**اسم يطلق على معلم أرضي (..) وبوجه عام (..) هو اسم العلم [كلمة محددة أو مجموعة محددة من الكلمات، أو تعبير محدد] الذي يستعمل في اللغة استعمالا متسقا للإشارة إلى مكان أو معلم معين أو منطقة معينة، لكل منها هوية مميزة على سطح الأرض**»[2]، والتي تتضمن الأماكن المأهولة، والتقسيمات المدنية (الجهات والأقاليم..)، والمعالم الطبيعية، والمعالم المشيدة، والأماكن غير المحدودة (المحيطات، أماكن الرعي..).

ويقصد بالأماكنية العلم الذي يجعل من أسماء الأماكن منطلقا لدراسة تفاعل الإنسان مع مجاله، من خلال البحث عن معانيها وتفسيراتها، وضبط تحولاتها، وتحديد قيمتها التراثية والفكرية، وملامح التغير في أنساقها اللغوية[3]، والطبونيميا هو مصطلح يوناني، مشتق من كلمتين "TOPOS"وتعني مكان، و"ONOMA" وتعني الاسم، وبذلك فهو علم يعنى بدراسة أسماء الأماكن، من حيث أقدميتها أو تاريخها، ودلالاتها اللغوية والتاريخية، وأصولها، وتطوراتها.. وتندرج الطبونيميا ضمن فرع الأونوماستيك،

2- دليل توحيد الأسماء الجغرافية على الصعيد الوطني، إعداد فريق الخبراء المعني بالأسماء الجغرافية التابع للأمم المتحدة، إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية، الشعبة الإحصائية، منشورات الأمم المتحدة، نيويورك، 2007، ص. 7.

3- محمد البركة وآخرون، الطبونيميا بالغرب الإسلامي أو ضبط الأعلام الجغرافية، مقدمات في الفهم والمنهج والعلائق، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2012، ص. 14.

الذي يهتم بدراسة أسماء الأعلام بصفة عامة، وينقسم إلى قسمين، الطبونيميا، والأنتروبونيميا، وهذا الأخير يهتم بدراسة الأعلام البشرية وتحديد دلالاتها وأصولها.

2- الطبونيميا والتاريخ: أية علاقة؟

تختزن الأعلام المكانية مجموعة من المعطيات التي تفيد مختلف مراحل البحث التاريخي، فإذا اقتنعنا بأن اسما ما أطلق في فترة زمنية معينة، على مجال محدد، من قبل مجتمع ما، فإن هذا يدفعنا إلى اعتبار تشكل العلم المكاني من ثلاثة أبعاد رئيسية: الزمان والمجال والمجتمع، وهي الأبعاد نفسها التي يعتمد عليها المؤرخ، وبذلك فإن هناك نقط التقاء بين الباحث الطبونيمي والمؤرخ. وإذا كان هذا الأخير يعتمد على مجموعة من المصادر لوضع تصور عن المجتمع في فترة زمنية معينة، سواء منها المادية، أو غير المادية.. فإن من شأن دراسة العلم المكاني، والبحث في دلالاته التاريخية واللغوية، وتحديد فترته الزمنية، من خلال ضبط الزمن الذي وضع فيه الاسم، واستخراج أبرز تفاعلاته مع المجتمع، ووضعه ضمن نسقه العام إلى جانب الأعلام الأخرى، أن يسهم في دراسة مختلف التفاعلات المجتمعية في فترة زمنية محددة.

إن أهمية الدراسة الطبونيمية تتجلى أيضا في:

- كون الأعلام المكانية تحمل في طياتها دلالات متنوعة، فهي تشير في بعض الأحيان إلى طبيعة المكان من حيث وضعه الطبوغرافي أو الهيدرولوجي أو الجيولوجي، وتشير في أحيان أخرى إلى فترة من الفترات التاريخية التي مر بها الموقع، وإلى بعض الظروف الاجتماعية وحتى بعض القضايا التي تتصل بالعقيدة[4]

4- عبد الهادي التازي، «الفكر الجغرافي عند المغاربة»، ضمن الاسم الجغرافي تراث وتواصل، أعمال الندوة الوطنية الأولى حول الأعلام الجغرفية، أيام 15-16-17 أبريل 1992، المعهد الجامعي للبحث العلمي ومديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبغرافية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1994، ص. 27. أنظر أيضا: طارق يشي، «تطور الفكر الثقافي الديني بالمجتمع المغربي من خلال أعلامه الجغرافية (مدينة فاس أنموذجا)»، مجلة قطر الندى، العدد 15، أكتوبر 2014، صص. 80-130.

- يزود علم الأماكنية الباحث بمختلف العناصر البشرية التي استوطنت بالمكان، وسعت إلى تخليد ذكرها عن قصد أو بدونه، من خلال توثيق أسماء القبائل والجماعات البشرية في المكانية، وهو أمر يمكن أن يعطي دينامية علمية جديدة لما تضمنته المصادر التاريخية، وما أغفلت ذكره المصادر الجغرافية، وبذلك تمكن الباحث من وضع لوائح لهذه الجماعات البشرية.

- إن الاعتماد على الطبونيميا يعتبر وسيلة أساس لمعرفة التطور اللغوي الذي شهده المجتمع، ومن هنا يمكن أن نشير إلى أحد رواد هذا التخصص العلمي، وهو"Albert DAUZAT"، الذي ناقش أطروحته في موضوع لسني يهم خصوصيات اللغة واللهجة بأحد المناطق الفرنسية، واستخلص أنه لا يمكن الحديث عن هذه الخصوصيات دون الإشارة إلى الأعلام المكانية، وهو الأمر الذي مكنه من تكوين قناعة عن أهمية هذا التخصص العلمي، فسخر كل جهده لاحقا للتقعيد لهذا العلم، ووضع أسسه ومقوماته[5]، ودون أن ننسى أن العلم المكاني قد يكون آخر دليل على وجود لغة ما بهذا المكان، أو دليل على وجود لغات اندثرت نهائيا.

- يساعد علم الأماكنية على تفكيك اسم العلم المكاني، الذي يتكون من عنصرين اثنين: العنصر الأول وهو **الدال** الذي هو المكان المشار إليه، والذي يترسخ في ذهن المجتمع، وبمجرد نطقه يتبادر إلى ذهن الفرد الموقع الجغرافي مع تناسي العنصر الثاني الذي هو **المدلول**[6]، أي مدلول تلك الكلمة، فعندما نقول مدينة فاس، فكل مايتبادر إلى الذهن هو موقع هذه المدينة وعراقتها وخصوصياتها الحضارية، بينما نادرا ما يتم التساؤل عن مدلول الاسم نفسه، وهنا يأتي دور الباحث الطبونيمي في تحريك آليات البحث عن المدلول الغائب. وهكذا يمكننا الحديث عن وجود بنية مرجعية للأعلام المكانية، «**وهي البنية الثقافية العميقة التي استلهمت منها المفاهيم**

5- Albert DAUZAT, Essai de méthodologie linguistique dans le domaine des langues et des patois romans; Géographie phonétique d'une région de la Basse-Auvergne.

نوقش هذا العمل سنة 1906، أنظر أيضا في هذا الصدد:

Xavier GOUVERT, Problèmes et méthodes en toponymie Française, Essais de linguistique historique sur les noms de lieux du roannais, thèse pour obtenir le grade de docteur, Université Paris, 2008, p. 68.

6- Ibid, p. 213.

والتصورات والرؤى الفلسفية جذورها، فاتخذت من الأسماء مظهرا متجليا، ومن أسماء الأماكن معنى معبرا، أعطاه طاقة تعبيرية توافق الناس في تداولهم ونعتهم للمكان عبر التاريخ، أو تم تغييره لدافع من الدوافع المتصلة سواء بتغير البنية المرجعية الناظرة لاسم المكان أو بوجود حدث غالب حواه المكان»[7].

- نستطيع أيضا وضع خرائط تاريخية أكثر دقة عن الحدود الثقافية والسياسية والاجتماعية من خلال علم الأماكنية.

- تساعد الطبونيميا على قراءة العديد من النصوص الجغرافية والتاريخية والفقهية وتحقيقها، **«إذ كثيرة هي الأعلام الجغرافية التي تذكر مثل هذه النصوص، وضبطها في بعض الأحيان يكون مفتاح فهم النص، مما يبرز قيمة ضبط الأعلام الجغرافية في الكتابة»**[8].

وبذلك يمكن اعتبار العلم المكاني مصدرا جديدا من مصادر التأريخ، ولا يمكن أن نصل إلى هذه المرحلة إلا بعد ضبط مختلف مراحل العمل الطبونيمي، والتي تتمثل في ضبط المجال المدروس أولا، واستخراج أعلامه المكانية، وضبط دلالاته التاريخية واللغوية، وموقعه الجغرافي ثانيا، وتصنيفها ثالثا، واستخراج أنساقها الثقافيه في مرحلة موالية، ليتمكن الباحث من استغلالها لخدمة قضاياه التاريخية.

3- الطبونيميا التاريخية ودورها في فهم العلاقات الثقافية بين المجتمعات.

تعتبر الحضارة في مختلف تجلياتها إرثا مشتركا بين مجموعة كبيرة من الثقافات، وهو ما يدفعنا للحديث عن الثقافة الإنسانية، عوض التركيز على الحضارة المجالية، وذلك نتيجة علاقات التأثير والتأثر، التي يختفي ذكرها بمجرد البروز السياسي والثقافي لمجال محدد، فيرتبط اسم الحضارة آنذاك بالمجال الجغرافي أو الكيان السياسي أو الديني (الحضارة اليونانية، الرومانية، الفرعونية...)، إلا أن العلم المكاني يبقى شاهدا على هذه العلاقات الثقافية المتبادلة، ويبرز ذلك من خلال مظهرين أساسيين:

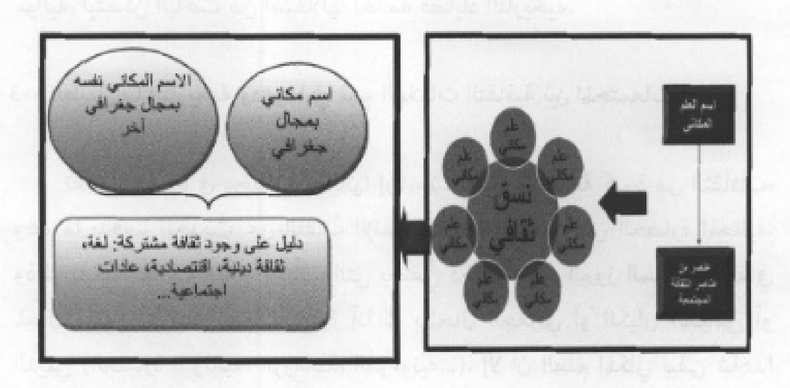
7- محمد البركة وآخرون، الطبونيميا بالغرب الإسلامي...، م.س، ص. 23.

8- نفسه، ص. 22.

1- مرور جماعة بشرية بالمكان، فتترك اسمها الذي يبقى صامدا أمام مختلف التحولات، ويعتبر هذا الأمر دليلا على وجود علاقة ثقافية بين المجال المستقبل لهذه الجماعة، والمجال المرسل لها.

2- حضور الاسم نفسه بأمكنة مختلفة دليل على انتقال ثقافي، من مجال لآخر، خاصة إذا سلمنا بمسألة العلاقة الوثيقة ببين العلم المكاني والذاكرة الجماعية. فالعلم المكاني لا يمكن أن يخرج بأي شكل من الأشكال عن الخصوصيات الثقافية للمجتمع المدروس. وهذا ما يتضح من خلال هيمنة الأسماء الإسلامية على الأعلام المكانية في البلدان التي تدين بالديانة الإسلامية. وبذلك فهناك خصوصيات ثقافية لهذا المجتمع تتبلور أكثر في أسماء الأعلام المكانية. وانطلاقا من هذه الخلاصة يمكن اعتبار وجود الاسم نفسه في عدة مناطق، دليلا على وجود اندماج ثقافي، ووجود صلات ثقافية يمكن أن تسهم في خلق لغة مشتركة، ثقافة دينية، وثقافة اقتصادية مشتركة... وتوضح الخطاطة التالية هذه الفكرة:

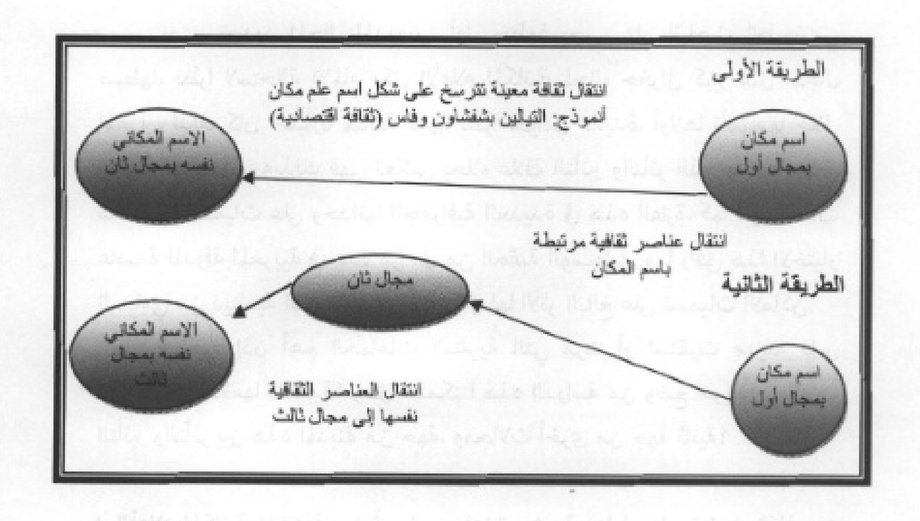
خطاطة1: إسهام الأعلام المكانية في خلق أنساق ثقافية مشتركة بين مجتمعات متعددة



المرجع: إنجاز شخصي

انطلاقا من الخطاطة، تبرز أهمية دراسة الأعلام المكانية، التي تشكل أحد العناصر الثقافية للمجتمع المدروس، وتتيح دراستها في شكلها الكلي، إمكانية استخراج النسق الثقافي العام لهذه الجماعات البشرية. إلا أن تكرار الاسم نفسه في مجال آخر، يدل على وجود عناصر ثقافية مشتركة بين الطرفين، لم يكن لها أن تبرز لولا الاتصال بين الجماعات البشرية، بطريقة مباشرة (انتقال عناصر ثقافية من مجال أول إلى مجال ثان)، أو غير مباشرة (انتقال عناصر ثقافية من مجال أول إلى مجال ثان، ومنه إلى مجال ثالث).

خطاطة 2: طرائق الانتقال الثقافي المرتبط بالأعلام المكانية



انطلاقا من العناصر السابقة الذكر، يتضح أن اسم المكان يشكل عنصرا من عناصر الثقافة المجتمعية، التي تترسخ في ذهن المجتمع أولا، لتفرض نفسها على المجال. ويبدو أن مختلف المجالات الجغرافية عرفت تلاقحا، وتثاقفا، أسهم في بلورة الخصائص المحلية لثقافة كل مجال على حدة. لننطلق من إشكالية رئيسية:

إلى أي حد يمكننا تطبيق هذه المعطيات النظرية من دراسة الاندماج الثقافي بين المغرب من جهة، ومجالات مجاورة من جهة ثانية، انطلاقا من أنموذج أماكنية مدينة فاس؟

ثانيا: المحور التطبيقي: ملامح من التواصل الثقافي بين المجال المغربي ومجالات مجاورة خلال العصر الوسيط انطلاقا من المقاربة الطبونيمية التاريخية.

يعتبر تحديد المجال المدروس، أول خطوة يجب على الباحث الطبونيمي ضبطها، نظرا لاستحالة الإلمام بكل الأعلام المكانية لمجال جغرافي كبير مثل المجال المغربي، لذلك كان اختيارنا لمدينة فاس، نظرا لعوامل عديدة، أولاها تأسيسها خلال الحقبة الوسيطية، وبذلك فهي تعكس بجلاء علاقة التأثير والتأثر الذي واكب إطلاق مختلف التسميات على وحداتها الجغرافية العديدة في هذه الفترة، كما أنها اتخذت عاصمة للدولة المغربية في عدة مراحل من الحقبة الوسيطية، وما رافق هذا الاختيار السياسي من دينامية اقتصادية وثقافية، كان لها الأثر البالغ على تسميات الأماكن.

فماهي إذن أهم الجماعات البشرية التي مرت أو استقرت بمدينة فاس انطلاقا من أعلامها المكانية؟ وهل ستمكننا هذه الدراسة من وضع خريطة لعلاقات التأثير والتأثر بين هذه المدينة من جهة، ومجالات أخرى من جهة ثانية؟

1-الأعلام المكانية المشتقة من أسماء جماعات بشرية، دليل على تواصل ثقافي بين المجتمع المغربي ومجتمعات مجاورة.

احتفظت مدينة فاس بمجموعة من الأعلام المكانية التي تدل على استقرار جماعات بشرية بمختلف وحداتها الجغرافية، والتي ما زال بعضها مستمرا وسائدا لحد الآن، بينما استطاعت المصادر التاريخية أن تحفظ لنا أسماء أماكن اندثر تداولها في الفترة الراهنة، ويلخص الجدول التالي هذه الأعلام المكانية:

جدول1: الأعلام المكانية الفاسية الوسيطية المشتقة من أسماء جماعات بشرية

العلم المكاني	الجماعة البشرية ومعطيات إضافية عنها
باب حصن سعدون	**قبيلة آل سعدون:** يرجح أن هذه القبيلة ذات أصول عراقية عربية، نزحت إلى جانب قبائل أخرى إلى مدينة فاس، واستقرت بها، حيث «**أنزلهم [المولى ادريس بن ادريس] بناحية عين علون**»[9]، وقد أورد ابن أبي زرع قبيلة آل سعدون العراقية[10].
حارة لواتة	**قبيلة لواتة:** وهي من القبائل الأمازيغية القديمة الاستقرار بهذه المدينة، وعرفت بقبائل بني خيامة[11].
حمة وشتاتة	**قبيلة وشتاتة:** تنسب لقبيلة بربرية تحمل الاسم نفسه[12]، وتنتمي إلى شعب أداسة الذين أشار إليهم ابن خلدون، والذين اندرجت بطونهم في هوارة[13]، وحاليا تستقر بعض مجموعات هذه القبيلة بالحدود الجزائرية التونسية[14]، وفي مقاطعة طرابلس الليبية.
درب بن عبود	**قبيلة بني يزغتان:** كان جد هذه الأسرة إدريس عبودة قد أسلم عندما اشترى الإمام إدريس منه مكان بناء مدينة فاس، فهم ينتمون لقبيلة بني يزغتان البربرية، وكانوا يدينون سابقا بالديانة المجوسية، ويعبدون النار[15]، وكان بيتهم بموضع الشيبوبة[16]، الذي ما يزال يحمل الاسم نفسه لحد الآن.

9- علي ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ط1، 1972، ص. 39.

10- نفسه، ص84.

11- عبد الكبير الكتاني، زهر الآس في بيوتات أهل فاس، تحقيق الدكتور علي بن المنتصر الكتاني، منشورات مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2002، ج2، ص146.

12- عبد الوهاب بنمنصور في تحقيقه لكتاب جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، جزآن، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ج1، الهامش 75، ص. 45.

13- عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن الاستاذ خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2000، ج6، ص. 149.

14- *Stephane GSELL*, «Chronique archéologique africaine», *In:* Mélanges d'archéologie et d'histoire, *T 18, 1898, p. 75.*

15- اسماعيل بن الأحمر وآخرون، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، صص. 52-53.

16- المكان الواقع بين النخالين وبين المدن.

رحبة القيس	**قبيلة قيس:** من القبائل العربية المشرقية، فبعد فراغ المولى إدريس بن إدريس من بناء مدينة فاس وإحاطتها بالأسوار «**أنزل القبائل، كل قبيلة نزلت بناحية، فنزلت العرب القيسية من باب إفريقية إلى باب الحديد من أبواب عدوة القرويين ونزلت الأزد على حدته**»[17].
طريانة	**قبيلة طريانة:** وهي من القبائل العربية القديمة الاستقرار بمدينة فاس، فبعد إنهاء عملية التسوير، «**نزلت كل قبيلة جهة مثل حارة لواتة، وحارة الربط، وطريانة** [...]»[18]. ويرجح أنها من القبائل الأندلسية التي هاجرت نحو مدينة فاس، خاصة مع وجود مدينة طريانة بالقرب من إشبيلية[19].
عدوة الأندلس	**الأندلس:** منطقة معروفة، تقع بشبه جزيرة إيبيريا، فتحها طارق بن زياد سنة 92هـ/711م، وسقط آخر معقل للمسلمين بها سنة 897هـ/1492م.
عقبة الصديني	الصديني، ينطق بالصاد زايا مفخمة، وهي كلمة أمازيغية من أزَّاض وهو الطحن أو المطحنة أو النسج والمنساج، وصدينة كانت من قبائل سهل تادلا بين داي وقصبة تادلا الحالية، وهناك فرع منهم استقر بالقرب من مدينة فاس، بمحاذاة قبيلة فشتالة[20]، ووردت هذه القرية في العديد من المواضع بالمصادر التاريخية[21].
القبابين	نسبة إلى أولاد القباب القحطانيين، القادمين إلى فاس من قرطبة منذ أيام مغراوة حسب زهر الآس[22]، وفي عهد إدريس بن إدريس، حسب بيوتات فاس الكبرى[23]، اشتهر بيتهم بالعلم والثروة[24]، والفقه والعدالة[25].

17- علي ابن أبي زرع، الأنيس المطرب...م.س.، مراجعة عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1999، صص 54 -55. أحمد بن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، م.س، ج1، ص37.

18- ابن أبي زرع، الأنيس، ط2، ص. 56.

19- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، 8 أجزاء، دار صادر، بيروت، 1968، ج4، ص. 192.

20- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1997، الهامش 310، صص.166-167.

21- البكري، المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص. 117. أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401-1981، ج1، ص143. أحمد التادلي الصومعي (ق 10هـ)، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، المطبعة الحجرية، فاس، 1332هـ ص. 174.

22- عبد الكبير الكتاني، زهر الآس، م.س،ج2، ص. 100.

23- اسماعيل ابن الأحمر وآخرون، بيوتات فاس الكبرى، م.س، ص. 44.

24- عبد الكبير الكتاني، زهر الآس، م.س، ج2، ص. 100.

25- اسماعيل ابن الأحمر وآخرون، بيوتات فاس الكبرى، م.س، ص.44.

عين ازليتن	ورد في كتاب معجم البلدان الليبية، أن «**زليطن محرفة عن الكلمة البربرية "يصليتن" كانت تطلق على قبيلة من قبائل هوارة البرابرة[..] وأبو هذه القبيلة اسمه يصليتن بن مصرا، بن زاكيا بن ورسيك، وقد تناسى السكان كلمة يصلتن البربرية لثقلها، وصاروا يقولون زليتن لخفتها في النطق [...] والزاي من زليتن ينطق بها مفخمة قريبة من الصاد، ورأى ابن خلدون في هذه الزاي المفخمة أن تكتب صادا في وسطها نقطة**»[26]، ويبدو أن هذا هو الاحتمال الراجح بخصوص عين ازليتن الموجودة بمدينة فاس، بحيث أن المدينة استقبلت قبيلة اصليتن البربرية ويؤكد هذا الأمر نص تاريخي أورده عبد الكبير الكتاني الذي يقول: «**إن مغراوة ويفرن أخوان شقيقان، وهم ابنا يصليتن بن سري بن زاكيا بن ورسيك بن الدبديت بن زانا، جد زناتة**»[27]، فهذا النص يتفق مع ما ورد عند الباحث الليبي الطاهر أحمد الزاوي في أصل هذه القبيلة التي تعود إلى "يصليتن بن زاكيا بن وارسيك"، ويضيف الجزناني «**وأما مغراوة فالذي في جمهرة ابن حزم أن مغراو بن اصليتن من جملة البربر**»[28]. خلاصة القول إن كلمة اصليتن تعود لقبيلة مغراوية زناتية حملت الاسم نفسه، كانت تستقر بعدة مناطق في شمال إفريقيا، منها مدينة فاس، ومدينة ازليتن حاليا بليبيا.
حمام بنت البان	نسبة لبيت بني البان الأزديين، والذي كان بيت فقه[29].
درب ابن عزاهم	**<u>ابن عزاهم</u>:** نسبة إلى بيت العزاني[30] أو بيت بني عزانة، وهم من البربر، «**وبيتهم بيت علم وثروة**»[31]، وكان اسم الدرب يعرف بدرب بن عزانا، ولكن تشاءم الناس من حمولته السلبية فحولوه إلى درب بن عزاهم[32].
كهف	**<u>الوقادين</u>:** حاليا هناك منطقة تسمى بالوقادين بالطائف بالقرب من مكة المكرمة،

26- الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، ط1، 1968، ص. 170.

27- عبد الكبير الكتاني، زهر الآس، ج2، ص. 195.

28- علي الجزناني، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1991، ص. 75. أنظر أيضا، ابن أبي زرع، الأنيس، ط1، م.س. ص104. عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، م.س، ج7، ص15.

29- اسماعيل ابن الأحمر وآخرون، بيوتات فاس الكبرا، م.س، ص46.

30- عبد الكبير الكتاني، زهر الآس، م.س،ج2، ص31.

31- اسماعيل بن الأحمر وآخرون، بيوتات فاس الكبرا، م.س، ص.35.

32- دار المنصور في تحقيقها لكتاب بيوتات فاس الكبرى، م.س، الهامش 54، ص.35.

الوقادين	وهي من القبائل القديمة التي استوطنت بشبه الجزيرة العربية، مفردها وقدان، وفي هذا يذكر أحد المؤرخين المشارقة، عند حديثه عن الطائف، أن نخب «**عقبة في جبل، وهو الآن قرية يسكنها جماعة من عتيبة يقال لهم: وقدان**»[33]، مما يضعنا أمام احتمال نسبة هذا المكان لهذه القبيلة التي هاجرت مع باقي القبائل العربية ودخلت إلى مدينة فاس، على الأقل منذ الفترة الزناتية، وبذلك تحول اسم المكان من كدية الفول إلى كهف الوقادين.
مسجد ابن الملجوم	سمي بيت بني الملجوم نسبة للقب «**جدهم قاسم في شبيبته، سمي بذلك لتوقف كان في لسانه وكلامه**»[34]، وهم ينسبون لعمير بن مصعب الأزدي[35]، حيث يرجع نسبهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم[36]، وقد وفدوا على ادريس بن ادريس من الأندلس التي جعلوها مخبأ لهم من بني العباس[37]، وتزعمهم عمير بن مصعب الأزدي، الذي جعله وزيرا له وزوجه من ابنته عاتكة، «**ولما بنا ادريس فاس أنزله بالعين المعروفة الآن بعين عمير التي هي بخارج مدينة فاس [..] سميت به لنزوله عليها هو وقومه من الأزد**»[38]، ويعتبر عمير هذا جد آل الملجوم.

انطلاقا مما سبق يتضح أن معظم الجماعات البشرية التي استقرت بمدينة فاس خلال مرحلة التأسيس وبعدها بفترة وجيزة، كانت ذات أصول عربية أو أمازيغية، انتمت إلى مناطق جغرافية مختلفة، حيث نجد:

33- حسن بن علي بن يحيى العجيمي، إهداء اللطائف من أخبار الطائف، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، 1997، ص. 72.

34- أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس، م.س، ج2، ص. 501. ويشير عبد الهادي التازي إلى اللثغة التي لازمت جد ال الملجوم (قاسم) منذ صغره، أنظر عبد الهادي التازي، «عياض في فاس»، مجلة دعوة الحق، السنة 22، العدد 213، ماي 1981، ص. 35. اسماعيل بن الأحمر وآخرون، بيوتات فاس الكبرا، م.س، ص. 14.

35- عبد الهادي التازي، «عياض في فاس»، ص. 35.

36- اسماعيل ابن الأحمر وآخرون، بيوتات فاس الكبرا، ص. 10-15.

37- نفسه، ص. 11-12.

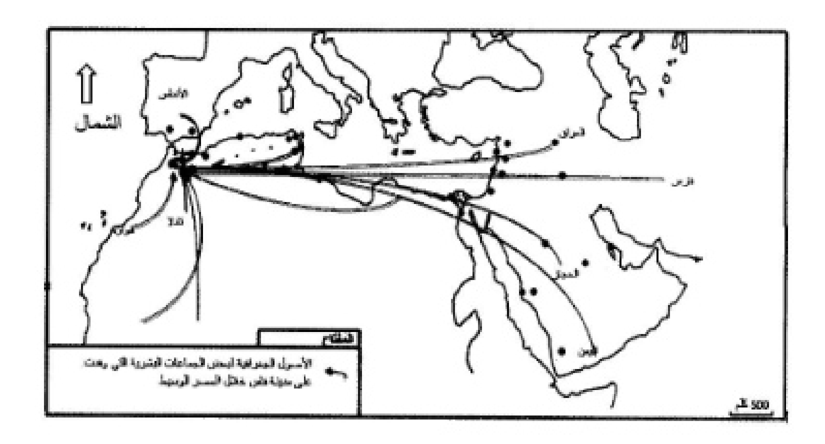
38- نفسه، ص. 13.

- جماعات كانت مستقرة بالمكان الذي شيدت عليه المدينة قبل مرحلة التأسيس، مثل ابن عبود.
- جماعات وفدت من مناطق مغربية: الصديني، وهي إحدى قبائل تادلا.
- قبائل وفدت من العراق: كقبيلة سعدون.
- جماعات وفدت من الأندلس، كطريانة، والقبابين.

وفي الفترة التي تلت مرحلة التأسيس وفدت قبائل من المغرب الأدنى (ازليتن)، وأخرى من الحجاز (بنت البان والتي تنتمي بدورها لقبيلة الأزد، بالإضافة إلى الوقادين).

وانطلاقا من المعطيات التي قدمتها النصوص التاريخية[39] من جهة والأعلام المكانية من جهة ثانية يمكن أن نستنتج أن مدينة فاس كانت قبلة لعدد كبير من الجماعات البشرية خلال الفترة الوسيطية، مما يؤكد إشعاعها وتأثيرها، خاصة على العالم الإسلامي، وهذا ما توضحه الخريطة التالية:

خريطة 1: الأصول الجغرافية لبعض الجماعات البشرية التي وفدت على مدينة فاس خلال العصر الوسيط



39- ابن أبي زرع، القرطاس، ط1، ص46، ص29. ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، صص32-33. الزهري، كتاب الجعرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، دت، ص. 112.

-دراسة التأثير الثقافي انطلاقا من أسماء أماكن متكررة بمناطق مختلفة.

أبرزت الخلاصات التي توصلنا إليها في المحور النظري، أن عملية تكرار الأعلام المكانية تؤكد وجود تواصل ثقافي بين المجتمعات، وتؤكد قلتها أو ندرتها عدم وجود تواصل كبير بين المجالين، وهكذا يمكن أن نطرح إشكالية هذا العنصر:

ما مظاهر التواصل الثقافي بين مدينة فاس ومناطق أخرى انطلاقا من الأعلام المكانية؟

وللإجابة عن هذا السؤال وضعنا جدولا يوضح الأعلام المكانية التي تكررت بمدينة فاس من جهة ومناطق داخل المغرب وخارجه من جهة ثانية:

جدول 2: الأعلام المكانية الفاسية، ومناطق تكرارها داخل المغرب وخارجه

	اسم العلم الجغرافي	أماكن أخرى تحمل الاسم نفسه	
		داخل المغرب	خارج المغرب
1	الأبارين		الشام
2	أزفور	تنغير	الجزائر
3	أغلان	ورزازات/ أكادير	الجزائر
4	أكدال	مراكش/ الرباط	
5	باب إفريقية		تونس
6	باب أكدال	مراكش/ الرباط	
7	باب الجديد	مكناس/ مراكش	طرابلس/ تونس/ القدس/ الموصل
8	باب الحديد		حلب/ القدس/ بغداد
9	باب الحمراء		حلب/ القاهرة/ القيروان
10	باب الخوخة		القاهرة/ القيروان
11	باب السلسلة	ورزازات	القدس
12	باب الشريعة	مراكش	غرناطة
13	باب الفتوح		القاهرة
14	باب الفرج		حلب/ دمشق/ القاهرة/ النجف

15	باب الفصيل		بغداد
16	باب الفوارة		الجزائر
17	باب القلعة		اللاذقية
18	باب القوس	آسفي	القاهرة/ زغوان بتونس
19	باب المحروق	شفشاون	القاهرة
20	باب النطاعين		سوق النطاعين بحلب/سوق النطاعين وجامع النطاعين بدمشق
21	باب النقبة	شفشاون	
22	باب عين ازليتن		ازليتن بليبيا
23	البرادعيين	مسجد البرادعيين بمكناس	
24	برج الذهب		إشبيلية
25	برج بوطويل	مراكش	قرية بوطويل بالجزائر
26	البطحاء		البطحاء بمحافظة ذي قار بالعراق/ حي البطحاء بالرياض بالمملكة العربية السعودية
27	البليدة		مدينة البليدة بالجزائر
28	تاخريبيشت		مقبرة سيدي اخريبيش بليبيا
29	جامع الحمراء		جامع الحمراء بالدمام بالمملكة العربية السعودية/ جامع الحمراء بالرياض
30	جامع الشرفاء		منطقة النوفلين بطرابلس/ نواكشوط بموريطانيا/مطوية بتونس
31	جامع الصابرين		مدينة الموصل العراق/ دمشق بسوريا/ جدة بالمملكة العربية السعودية
32	جامع القصبة	جامع القصبة بطنجة/ وتطوان والرباط جامع القصبة القديمة بأكادير	تونس العاصمة
33	الجامع الكبير	تارودانت	صنعاء باليمن/ الجزائر/ سوسة بتونس
34	جامع المعز		تونس العاصمة
35	جامع النارنجة		دمشق
36	جامع سيدي		دمشق/ ليبيا

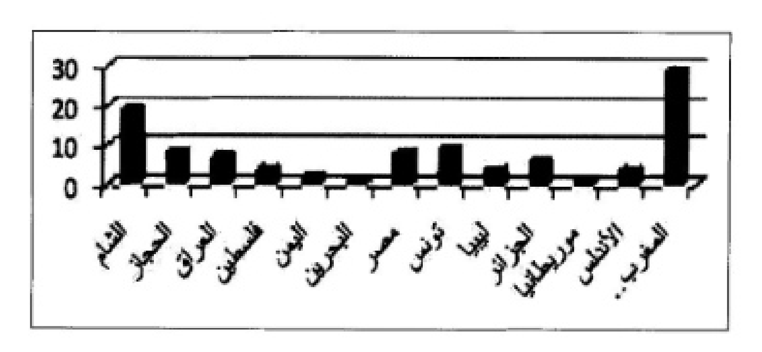
	خليل		
37	جبل الظل	جبل الظل بضواحي القنيطرة	جبل الظل بضواحي مدينة باجة التونسية
38	جبل العرض	مدشر العرض بالريف المغربي	
39	جبل تغات		عين تغات بالجزائر
40	جبل زلاغ	هناك جمعية زلاغ بتزنيت	
41	الجوطية	جميع أنحاء المغرب وخاصة في الشمال	
42	الحدادين		كفر الحدادين بجمهورية مصر العربية/ الحدادين قرية باليمن/ سوق الحدادين ببيروت اللبنانية
43	الخرازين	الشاون/ الراشيدية	سوق الخرازين بالرياض/
44	الخراطين		القاهرة/ زقاق الخراطين بجدة
45	خولان		دمشق/ الأندلس/ اليمن
46	درب البركة		سوق البركة في إفريقية الأغلبية
47	الدقاقين		سوق الدقاقين بدمشق/ حارة الدقاقين بالقاهرة
48	راس التيالين	قرية التيالين بشفشاون	
49	راس الشراطين	مجموعة مدارس الشراطين بجماعة المقريصات بمدينة وازان	قرية الشراطين بالقرب من مدينة حائل بالمملكة العربية السعودية/
50	الرميلة	الرميلة بظاهر مراكش	قرية الرميلة بمكة/ البحرين/ قرية بالقرب من القدس تدعى اليوم خربة الرميلة
51	زقاق الماء		زقاق الماء دمشق
52	الزلاقة		سهل الزلاقة بالأندلس
53	زنقة الجياف	باب الجياف بالمدينة نفسها	
54	السراجين		سوق السراجين ببغداد

55	سماط العدول	سماط العدول بالرباط/ بمكناس	
56	سيدي بوكرين		زاوية بوكرين بجماعة المنزل بصفرو
57	الصاغة		قصر الصاغة بالقاهرة/ سوق الصاغة بدمشق..
58	الصباغين		سوق الصباغين بحلب/ حمام الصباغين بتلمسان
59	الصفارين		سوق الصفارين ببغداد
60	طريانة		مدينة طريانة بالقرب من إشبيلية
61	العشابين		العشابين بالعراق/ العشابين بمصر..
62	العطارين		جامع وحي العطارين بالإسكندرية/ سوق العطارين بالرياض/ سوق العطارين بمدينة بريدة بالسعودية
63	عقبة الجرف		عقبة راس الجرف بالمملكة العربية السعودية
64	عقبة الصديني	صدينة كانت من قبائل سهل تادلا بين داي وقصبة تادلا الحالية، وهناك فرع منهم استقر بالقرب من مدينة فاس، بمحاذاة قبيلة فشتالة	
65	عين ازليتن		ليبيا
66	القطانين		سوق القطانين بمدينة القدس الشرقية/ خان القطانين بالموصل
67	القلالين	حومة القلالين بشفشاون	القلالين بتونس العاصمة
68	قنطرة الرميلة	الرميلة قرية بإقليم بولمان	الرميلة بلبنان/ الرميلة بمنطقة الأحساء السعودية/ الرميلة بالعراق/
69	قنطرة الصباغين		الصباغين مدينة تونس العاصمة/ سوق الصباغين بحلب

تعددت الأعلام المكانية التي وجدت في فاس أولا وفي أماكن أخرى ثانيا، سواء داخل المغرب أو خارجه، مما يعكس وجود علاقات تأثير وتأثر على المستوى الثقافي بين هذه الأماكن من جهة ومدينة فاس من جهة ثانية، ولكن ماهي المناطق الأكثر تأثيرا أو تأثرا بالمدينة انطلاقا من هذه المقاربة؟

جدول3: نسبة الأعلام المكانية المتكررة بمناطق أخرى

المناطق التي تحمل أسماء أعلام مكانية موجودة بمدينة فاس	النسبة المئوية للأعلام المكانية المتكررة بمناطق خارج مدينة فاس
الشام	%19
الحجاز	%9
العراق	%7
فلسطين	%4
اليمن	%2
البحرين	%1
مصر	%8
تونس	%9
ليبيا	%4
الجزائر	%5
موريطانيا	%1
الأندلس	%3
المغرب الأقصى	%28
المجموع	**%100**



مبيان1: نسبة الأعلام المكانية المتكررة ببعض المناطق خارج مدينة فاس

إن الملاحظة التي يمكن أن نستخرجها انطلاقا من الجدول والمبيان هي ارتفاع نسبة تكرار أسماء الأعلام المكانية بالمغرب الأقصى، وهذا يؤكد مسألة علاقة التأثير والتأثر بين مدينة فاس والمناطق التي تحاذيها، وعامل القرب والوحدة السياسية التي كانت تميز هذا المجال في مجمل المراحل التاريخية، يسهم في انتقال الثقافة بمختلف أشكالها، سواء اللغوية، أو الأنماط الحرفية، أو العناصر والفئات الاجتماعية، وتبقى المعطيات المقدمة مجرد نماذج من عينة من الأعلام المكانية التي تمت دراستها، ينطبق الأمر أيضا على عدة مدن مغربية تضم أسماء أعلام مكانية موجودة بفاس. فقد تكررت أسماء الأعلام المكانية بشكل كبير في المدن الكبرى، وخاصة مدينة مراكش والرباط ومكناس، بالإضافة إلى مدينة شفشاون، ويبدو أن السبب في ارتفاع نسبة تكرار الأعلام المكانية بهذه المدن، يعود إلى علاقة التأثير والتأثر بين عواصم الدولة عبر مختلف مراحلها التاريخية، (أنموذج مراكش وفاس)، ومسألة القرب بين المدن الكبرى (فاس ومكناس)، وانعكاس الثقافة الأندلسية على مدينة فاس وشفشاون. ولكن ماهي المجالات التي شملتها علاقة التأثير والتأثر؟

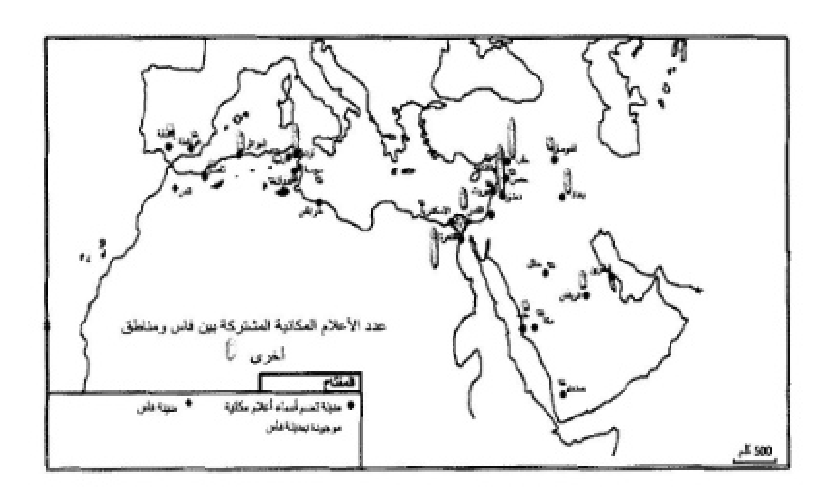
للإجابة على هذه الإشكالية سنعتمد مبدأ التمثيلية، التي ستوضح أن المجالات الثقافية التي أسهمت في خلق علاقات بين المدينة ومدن أخرى تتمثل في:

- **الثقافة الاقتصادية:** صنع القلال (القلالين بشفشاون)/ صنع الغرابيل (التيالين بأحواز مدينة شفشاون)/ حرفة الخرازة (الخرازين بشفشاون، والراشيدية)/ الجوطية (بمناطق مختلفة بالمغرب وخاصة في الشمال)/ حرفة الشراط (الشراطين بوزان).
- **الثقافة السياسية:**عقاب المخالفين (بابا الشريعة بمراكش، والمحروق بشفشاون).
- **الثقافة الهيدروغرافية:** المصرف المائي (أغلان بورزازات وأكادير).
- **الثقافة البيئية:** البساتين (أكدال بالرباط ومراكش).
- **الثقافة العسكرية:** جامع القصبة بأكادير، وطنجة.
- **الثقافة اللغوية:** انتشار كلمات أمازيغية (أغلان- أكدال) وعربية بمناطق عديدة.

وهكذا نلاحظ هيمنة الثقافة الاقتصادية، وانتشار مجموعة من الحرف بعدة مناطق بالمغرب، وفي المقابل كانت توجد بمدينة فاس بشكل متجمع، ولم يقتصر التأثير على الميدان الاقتصادي فقط بل ارتبط أيضا بمجالات ثقافية أخرى سياسية وبيئية وغيرها.

وإذا كانت هذه النتائج المستنتجة خاصة بالأعلام المكانية المتكررة بالمجال المغربي، فما مميزات الأعلام المكانية المتكررة بباقي المناطق القريبة أو البعيدة عن مدينة فاس؟

خريطة3: المناطق التي وجدت بها أعلام مكانية موجودة بمدينة فاس



انطلاقا من هذه الخريطة يتضح أن الأعلام المكانية الموجودة بمدينة فاس تكررت بعدة مناطق وخاصة الأندلس، وشمال إفريقيا، والشام والعراق والحجاز، مما يطرح فرضية وجود علاقة ثقافية متبادلة بين هذه المناطق من جهة ومدينة فاس من جهة ثانية، ولكن ماهي المجالات الجغرافية التي كانت أكثر تأثرا بهذه العلاقات الثقافية؟

يبدو أن المجتمع الفاسي ربط علاقات تواصلية مع مناطق عديدة، ويمكن أن نؤكد أن هذا التواصل الثقافي هو الذي أسهم في بلورة الشخصية الفاسية، بمختلف تجلياتها وعناصرها الثقافية، كما أسهم في تطوير هذه الشخصية انطلاقا من علاقات التأثير والتأثر. وقد شملت هذه العلاقات مجالات جغرافية متعددة، وأتاحت لنا المقاربة الطبونيمية أن نستنتج هذه المجالات التي تمثلت في كل من مصر والعراق والشام والقيروان، وهي المجالات التي حظيت بنسبة أكبر من الأعلام المكانية الموجودة بمدينة فاس، وتكررت بها هذه الأعلام، مما يؤكد وجود هذه العلاقات التواصلية، وتعود أسباب هذا الطرح إلى:

- الهجرات العربية التي عرفها المغرب منذ القرون الهجرية الأولى، وخاصة الهجرات المشرقية الهلالية، وأيضا القيروانية في المراحل الأولى لتأسيس المدينة، فكان هذا سببا كافيا لنقل ثقافة هذه المجتمعات إلى المجتمع المغربي.

- العلاقات الثقافية التي استمدت أسسها من الدين الإسلامي، والثقافة العربية، التي اعتبرت ثقافة مستمدة من المشرق، وبذلك كثرت الرحلات من المغرب نحو المشرق من أجل أخذ الثقافة من نبعها الأول، بالإضافة إلى الإحساس المستمر بالتبعية نحو المشرق[40]، فكان هذا دافعا للقيام بهجرات انطلقت من دوافع دينية، علمية، واقتصادية.

- اعتبار أن البلاد الإسلامية تشكل وحدة ثقافية على الرغم من التفكك السياسي[41]، فأدى ذلك إلى وجود عدد كبير من الرحلات، دونت بعضها في كتب الرحلات والجغرافيا[42].

40- محمد ابراهيم الفيومي، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، ط1، دار الجيل، بيروت، 1997، صص. 104-100.

41- سعد عبد الله البشري، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية، 1997، ص178.

- وجود مؤسسات علمية عريقة كجامعة القرويين التي ذاع صيتها، خاصة وأنها احتضنت عددا من العلماء الذين لهم وزن علمي كبير، مثل ابن ماجة، وابن رشد[43] وابن خلدون.. وجامع الأزهر الذي استقبل عدة علماء من مدينة فاس كدراس ابن اسماعيل والشيخ أبي بكر الطرطوشي، والشيخ أبي مدين التاهرتي، وأبي مدين الغوث، وعبد الواحد المراكشي وغيرهم[44].

أسهمت هذه العوامل -بالإضافة إلى عوامل أخرى- في تعميق مبدأ التواصل بين الثقافة الفاسية من جهة وثقافة مناطق أخرى من جهة ثانية، مما أدى إلى بلورة شخصية فاسية متعايشة مع كافة الأجناس والفئات الاجتماعية، وهو الأمر الذي يبرز مع وجود عناصر مختلفة داخل هذا المجال، سواء كان هذا الاختلاف على المستوى اللغوي، الديني، الثقافي، أوغيره..

انطلاقا من كل ما سبق، نخلص إلى أن المجال المغربي كان مجالا مفتوحا أمام حضارات وثقافات مختلفة، ارتبطت أساسا بالثقافة العربية والأمازيغية الإسلامية، مما أسهم في خلق دينامية ثقافية واقتصادية وحضارية في مختلف مراحله التاريخية، وشكلت عنصرا أساسيا من عناصر تكوين الشخصية المغربية المنفتحة على المجالات المجاورة، مشكلة بذلك مفهوما جديدا للحدود له علاقة بالحدود الثقافية، التي امتدت مجاليا من المشرق إلى المغرب، ومن الصحراء إلى الأندلس، بدون أن يعترف هذا المجال بالتقسيمات السياسية.

إن المقاربة الطبونيمية التاريخية، التي تعد مفتاحا جديدا للبحث التاريخي للمغرب، وزاوية نظر جديدة لقضايا عديدة، يمكن أن تسهم في فك عدة ألغاز معرفية، أو تصحيح فرضيات متداولة، وتأكيد أخرى، وبذلك فهي مصدر من مصادر التأريخ التي وجب الاهتمام بها، دراسة وتمحيصا.

42- نشير هنا إلى كتاب المسالك والممالك للبكري، نزهة المشتاق للإدريسي، تحفة النظار لابن بطوطة، وصف إفريقيا للوزان..

43- يوسف الكتاني، «جامعة القرويين ودورها في التواصل بين الشعبين المغربي والمصري»، مجلة دعوة الحق، ع293، شتنبر أكتوبر 1992، صص102-112، ص109.

44- نفسه، ص110.

يشي، طارق. 2015. المقاربة الطبونيمية التاريخية وسيلة لفهم التلاقح الثقافي بين المجتمعات : أنموذج مدينة فاس خلال العصر الوسيط. *البحث التاريخي*،مج. 2015، ع. 12، ص ص. 199-222.